مجلة الدراسات الإسلامية واللغة العربية
Journal of Islamic studies and Arabic Language, Vol.3, Issue 1, May 2024
ISSN: 2791-2310 Print
ISSN: 2791-2329 Online

الغلو والتطرف في التفسير وأثره في ظهور الإلحاد

محمد مصطفي عبد الفضيل سالم[1]

Mohamed Mostafa Abdel Fadil Salem
Seconded Lecturer by Azhar University to the Islamic University in Uganda

ملخص البحث

هدف الدراسة:هدفت هذه الدراسة إلى بيان مشكلة تاريخية ألا وهي الغلو والتطرف في تفسير القرآن الكريم عند بعض الفرق والجماعات الإسلامية التي خالفت المنهج القرآني الوسطي المستنير وانحرفت به عن جادة الصواب فلوت عنق النص القرآني حتي تصل إلى ما تريد ؛ **منهج الدراسة:** تتبع الدراسة المنهج الإستقرائي التحليلي للكشف والبيان عن الغلو والتطرف لدي بعض مناهج المفسرين وبيان موقف الإسلام في التعامل مع هذه المناهج المنحرفة، وقد بينت الدراسة مفهوم الغلو والتطرف في تفسير القرآن الكريم وأثره في ظهور الإلحاد ، وكذا بينت أسبابه ومظاهره ومفاسده ،وأشارت لبعضٍ مِن الصور التاريخية لانحرافِ كثير من الفِرَق عن الفَهْم الصحيح للنص القرآني وتفسيره، وكذلك انحرافهم عن منهجِ الاستدلال الصحيح لدَى أهْل التفسير والقُرآن؛ ممَّا أدَّى إلى انحِراف هؤلاء في العقيدة، والعِبادة، والفِكْر ، والعمل،واشتملت الدراسة إلى بيان المرجعية التي يجب علينا أن نتخذها مقياسا في تفسير القرآن الكريم وهي مرجعية ترتفع كثيراً عن ذواتنا إنها مرجعية الوحي المتمثل في (القرآن الكريم وصحيح سنة النبي –صلي الله عليه وسلم–)؛ ولابد للعقل من دور كمقياس إذ كيف نفهم القرآن والسنة إلا بهذاه الأداة التي فرقنا الله – عز وجل – بها عن غيرنا من المخلوقات، وكذلك الفطرة التي هي السجية والطبيعة السليمة والتي هي في قلب كل مؤمن يمكن ان تكون ميزاناً للأقوال والأفعال والقيم.

نتائج الدراسة: هذا وقد توصلت إلى بيان أثر الغلو والتطرف في ظهور –الإلحاد –كنتيجة مباشرة لانحراف تفسير القرآن الكريم، توصلت الدراسة إلى بيان كيف يصل المفسر إلى السقوط في هاوية تكفير الآخرين واستباحة دمائهم وأموالهم، وهذا ما وقعت فيه الخوارج في فجر الإسلام الذين كانوا أشد الناس

([1]) دكتور / محمد مصطفي عبد الفضيل سالم، محاضر بالجامعة الإسلامية ب "أوغندا "قسم الدراسات الإسلامية، الاهتمامات البحثية: مناهج المفسرين، علوم القرآن، التفسير الموضوعي، مناهج المحدثين، الجرح والتعديل، مختلف الحديث البريد الإليكتروني: m_m20091000@yahoo.com

تمسكا بالعبادة فقدموا الأخبار والروايات على القرآن الكريم فضلوا وأضلوا؛ لذا وصفهم النبي ﷺبقوله: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم"[1].

التعصب والتحيز وكيف أثر التمسك بالأفكار القديمة في الانحراف في تفسير القرآن الكريم؛ توصلت الدراسة إلى بيان آثار ومخاطر الانحراف المنهجي في تفسير القرآن الكريم

واتضح ذلك من خلال بيان أثر الانحراف المنهجي في تفسير القرآن الكريم على الأمن الاجتماعي، إثارة الفتنة، انتهاك حقوق الإنسان، شيوع الجريمة، تغيير المفاهيم والمعتقدات من خلال الغلو والتطرف في التفسير.

توصلت الدراسة إلى بيان الوقاية، وكذا سبل العلاج من الفكر المتطرف المنحرف لتفسير القرآن الكريم، الاهتمام بالتربية، الاهتمام بالتعليم، استخدام وسائل الاعلام في نشر الفكر الوسطي، الواقعية في الخطاب الإسلامي وأخيراًالخاتمة، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إلىها في مواجهة المناهج الفكرية المنحرفة لتفسير القرآن الكريم وما يترتب عليه من ظهور تيارات إلحادية معاصرة.

مقدمة

الحمدُ لله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله محمَّد -ﷺ- وآله وأصحابه، ومَن تبعِهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أما بعد

يحتاج الناس في كل عصر، ومصر إلى معرفة معاني القرآن الكريم، والكشْف عن مرادِ الله – ﷻ – في آياته، ولذا؛ فقد دعتِ الحاجة إلى قيام علم "التفسير" لكتاب الله ﷻ.

([1]) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،محمد زهير بن ناصر الناصر ط1/دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ ،200/4 ح 3610 ، مسند الإمام أحمد بن حنبل،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،د عبد الله بن عبد المحسن التركي ط1/مؤسسة الرسالة1421 هـ - 2001 م 165/18، المصنف،أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)حبيب الرحمن الأعظمي لمجلس العلمي- الهند،المكتب الإسلامي – ط2بيروت، 1403، 164/10ح18649.

و(التفسير) –كما بيَّنه أهل العلم – مِن (الفَسْر)، وهو الكشْف عن معاني القرآن الكريم، وبيان مرادِ الله ﷻ فيها، وتبيين ذلك للناس.

وقد نشَأَ منذ عصْر الصحابة عِلمُ التفسير القرآني، فقد أصبح الناس يسألون بعضَ الصحابة عن معاني بعض الآيات، وبعضُ الصحابة كانوا على عِلْمٍ كامِلٍ بمعاني القرآن الكريم.

وكانوا يفسِّرون القرآن مع إقرائه، أو دون إقرائه، وبذلك بدَأَ عِلم التفسير، ثم أخَذ ينمو نموًّا مطردًا ويتنوَّع، ولما ظهرتِ الفِرَق الإسلامية، أصبحتْ هذه الفِرق تحاول أن تفسِّر القرآن حسبَ آرائها، وأصبح التفسير في بعض الأحيان يتَّبع الرأي، ولا يتَّبع الرأي القرآني.

ولقد خاطب الله – ﷻ– بالقرآن الكريم من كان في زمن التنزيل لا لخصوصية في أشخاصهم، بل لأنهم من أفراد النوع الإنساني، فالنص القرآني مستعلٍ على كل زمان ومكان، أما إفهام الناس للمراد من آياته فليس فيها حجة على أحد، بل التكليف الواقع على كل مسلم عالماً كان أو جاهلاً أن يتوجه إلى القرآن بعقله وقلبه متأملاً متدبراً كلٌ بحسب طاقته.

وينبغي على المفسر أن يحيط بأربعة عشر قرناً من التراث التفسيري مستفيداً منه غير متقيد ولا متأثر به، ليصل إلى النص القرآني مباشرة فيتعامل معه تعامل المجتهد، وليس هذا بالأمر السهل؛ أو إلسير.

وهذه لمحةٌ لبعضٍ مِن الصور التاريخية لانحرافِ كثير من الفِرَق عن الفَهْم الصحيح للنص القرآني وتفسيره، وكذلك انحرافهم عن منهجِ الاستدلال الصحيح لدَى أهْل النفسير والقُرآن؛ ممَّا أدَّى إلى انحِراف هؤلاء في العقيدة، والعِبادة، والفِكْر، والعمل.

والناظِر إلى الواقع المعاصِر يرى مِن الناس مَن قد أخطؤوا الطريق إلى فَهْم معاني القرآن وألْفاظه، وانحرَفوا بعيدًا عن حقيقةِ الإيمان والتسليم بالمحكَم منه والمتشابه.

ووقَعوا عمدًا أو خطأً منهم في صور مِن الانحراف أو التحريف، والتأويل الفاسِد للنصوص، الذي لا يدلُّ على حقيقةِ مراد الله – تعالى – من كلامه المنزل.

كما أخبر تعالى بقوله: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [1]

وهذا مسْلَكٌ انحرافي خطير، وله جذور تاريخيَّة طويلة ممتدة عبْرَ التاريخ الإسلامي.

---

(1) [سورة آل عمران:7]

وكان ذلك سبب في نفور كثير من الناس من الدين، وظهور تيار من الإلحاد المعاصر؛ وذلك ما دفعني لاختيار الموضوع، ودراسته.

الغلو والتطرف في التفسير وأثره في ظهور الإلحاد

الانحراف الفكري مفهوم تردد في عصرنا الحاضر كثيراً مرتبطاً بنماذج من الانحراف السلوكي لكثير من المتدينين الذين انحرفوا عن الطريق المستقيم، وكان سبب انحرافهم، وانجرافهم في كثير من الأحيان؛ تفاسير منحرفة للقرآن الكريم أدت في نهاية الأمر إلى أن حاد هؤلاء الناس عن جادة الصواب وظهر الانحراف جلياً في سلوكياتهم، لذا كان لزاماً علينا أن نراجع الأسباب الحقيقية وراء انحراف هؤلاء الأشخاص وليس فقط الأسباب الظاهريه.

يقول بعض الباحثين مشيراً إلى ظاهرة الانحراف الفكري بين شبابنا إلىوم " يواجه أبناء الأمة العربية في العصر الحاضر كثيراً من التحديات والمستجدات السريعة والشاملة لكل مناشط الحياة، شأنها شأن كثير من دول العالم، وقد برزت خلال السنوات الماضية ظاهرة الانحرافات الفكرية والسلوكية والبعد عن منهج الوسطية والاعتدال في الإسلام – لدى البعض – فنما الانحراف الفكري والتطرف الديني وكان من نتيجته سفك الدماء المعصومة، وإتلاف الأموال المصونة " [1].

وحتى لا نتعرض نحن في دراستنا إلى الانحراف لابد وأن نحدد مرجعاً ثابتاً نقيس به مدى انحراف هؤلاء الأشخاص ومن وراءهم من المفسرين.

والمرجعيات في الحقيقة متعددة؛ فهناك من يتخذون المرجعيات الغربية ميزاناً وسبيلاً يقيسون به الأمور فيرون المجاهرة بالزنا واللواط والربا والشذوذ الجنسي أو الحريات الجنسية أو تعاطي الكحول ضرباً من ضروب الحريات التي لا تخرج صاحبها عن الاستقامة في حياته الدنيا، وهناك من يتخذ من الفلسفة إلىونانية والمنهج الأرسطي ميزانا يقيسون به الأقوال والأفعال في حياتهم، ولا شك أن من يتخذ هذا الطريق مقياساً سينحرف ويرى من يتخذ القرآن والسنة منهجاً في حياتهم سيراهم بالضرورة ظلاميين متخلفين.

لذا فإن المرجعية التي نتخذها مقياسا في دراستنا هي مرجعية ترتفع كثيراً عن ذواتنا إنها مرجعية الوحي المتمثل في القرآن (الكريم وصحيح سنة النبي – صلي الله عليه وسلم –) ولابد للعقل من دور كمقياس إذ كيف نفهم القرآن والسنة إلا بهذاه الأداة التي فرقنا الله – عز وجل – بها عن غيرنا من

([1]) انظر: الإنحراف الفكري ومسئولية المجتمع، ط/ حولية كلية المعلمين فى أبها –السعودية، الجحني، علي بن فايز، ع 21/ 2008، ص57.

المخلوقات ، وكذلك الفطرة التي هي السجية والطبيعة السليمة والتي هي في قلب كل مؤمن يمكن ان تكون ميزاناً للأقوال والأفعال والقيم، قال – تعإلى – {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[1] .

ثم إن الأخطر في الانحراف هو الموقع القيادي الذي يتقلده المنحرف فانحراف المفسر والداعية والفقيه أخطر من انحراف غيرهم لا شك في ذلك، وانحراف رب الأسرة في بيته قد يؤدى بالأسرة كلها إلى الهاوية إلا أن يشاء الله أمراً غير ذلك.

من المعلوم أن الاسلام هو دين الوسطية والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط قال الله –ﷻ – {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّة وَسَطا }[2] والمقصود بالوسطية هو التزام الحق والعدل ، واختيار أوسط الأمور ؛ ودين الاسلام يرفض الغلو وينبه أتباعه علي أخذ الحذر من الأمم السابقة فقد نبههم علي عدم الغلو قائلاً لهم : {قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْم قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ }[3] ونتيجة لهذه التوصيات التي أمر الله بها غير المسلمين كان المسلمون أولي بالتزام هذه التعإلىم السمحة التي تدعوهم لعدم الغلو في الدين ؛ ولكن بعض المنتسبين للدين خالفوا تعإلىم القرآن وتوصيات نبي الاسلام فراحوا يجاوزون الحد في آرائهم فتطرفوا في تفسيرهم لكتاب الله – تعإلى – مما حدا بالكثير من الشباب وغيرهم إلى التطرف أيضاً ؛ ولو أنهم تمسكوا بمباديء دينهم من رفض الغلو والتطرف لكان خيراً لهم .

ويشير بعض الباحثين إلى خطورة الانحراف باسم الدين فيقول: " ولا شك أن الانحرافات الفكرية والسلوكية أشد خطراً وأعظم فتنة عندما تكون باسم الدين، وقد أخبرنا نبينا محمد –ﷺ– عن صفات أصحاب الفتن، كما حذرنا – ﷺ– من نوعية ونتائج أفكارهم فقال :[4] " إياكم والغلو في الدين " [5].

أولاً: مفهوم الغلو لغة واصطلاحًا

---

(1) (سورة الروم:30)

(2) [سورة البقرة:143]

(3) [سورة المائدة:77]

([4]) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل، مسند 3 / 387ح 3247، السنن الكبرى، 178/4 ح 4049، سنن ابن ماجه، ج1008/2 ح 3029. كلهم من حديث ابن عباس.

([5]) انظر: الإنحراف الفكري ومسئولية المجتمع، ط/ حولية كلية المعلمين فى أبها –السعودية، أ.د/ الجحني، علي بن فايز، ع 21 2008، ص57.

الغلو لغة: تشير مادة (غلا) إلى مجاوزة الحد، وهذا هو المعنى الذي توافقت عليه معاجم اللغة، تقول غلا الماء إذا فار وارتفع، وغلا السعر إذا تجاوز العادة، والسهم يغلو غلوًا إذا وصل لأقصى الغاية، وغلا القدر إذا فاض بما فيه وطفح، وغلا في الدين إذا تشدد وتصلب حتى جاوز الحد.

قال ابن منظور: " غلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده. وفي التنزيل: لا تغلوا في دينكم وفي الحديث: إياكم والغلو في الدين [1] – أي التشدد فيه ومجاوزة الحد، كالحديث الآخر: إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق " [2].

قال ابن فارس: الْغَيْنُ وَاللَّامُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ فِي الْأَمْرِ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَمُجَاوَزَةِ قَدْرٍ. يُقَالُ: غَلَا السِّعْرُ يَغْلُو غَلَاءً، وَذَلِكَ ارْتِفَاعُهُ. وَغَلَا الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ غُلُوًّا، إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ. وَغَلَا بِسَهْمِهِ غَلْوًا، إِذَا رَمَى بِهِ سَهْمًا أَقْصَى غَايَتِهِ. قَالَ: كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي وَتَغَالَى الرَّجُلَانِ: تَفَاعَلَا مِنْ ذَلِكَ [3].

وجاء في المصباح المنير ما نصه: غلا في الدين غلوا من باب قد تصلب وشدد حتى جاوز الحد [4].

الغلو اصطلاحًا

التعريف الاصطلاحي للغلو لا يتغير كثيرًا عن التعريف اللغوي، فإذا كان المفهوم اللغوي للكلمة عام في كل تجاوز ماديًا كان أم معنويًا، فإن التعريف الاصطلاحي خصص الغلو وحدد مفهومه أكثر، فاقتصر على الجانب المعنوي الذي ينم عن توجه فكري يظهر أثره على السلوك، وقد وضع العلماء عدة عبارات تشرح معنى الغلو اصطلاحًا، ومن هذه العبارات:

1ـ عرفه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بأنه هو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق والزيادة على ما لم يطلب شرعًا يقال غلا في الشيء يغلو غلوا وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى وورد النهي عنه صريحا فيما

([1]) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل، مسند 3 / 387ح 3247، السنن الكبرى، 178/4 ح 4049، سنن ابن ماجه، ج1008/2 ح 3029. كلهم من حديث ابن عباس.

([2]) انظر: لسان العرب ،132/15.

([3]) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة غلوي، 388/4.

([4]) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) ط/ المكتبة العلمية – بيروت، 452/2.

أخرجه النسائي وبن ماجة وصححه بن خزيمة وبن حبان والحاكم من طريق أبي العإلة عن بن عباس قال قال لي رسول الله- ﷺ- فذكر حديثا في حصى الرمي وفيه وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين [1].

ويتضح من ذلك أن الغلو يكون في العقائد والأحكام والسلوك والولاء للدين (أو باسم الدين) [2].

2. وقال الفخر الرازي: وَالْغُلُوُّ نَقِيضُ التَّقْصِيرِ. وَمَعْنَاهُ الْخُرُوجُ عَنِ الْحَدِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَدِينَ اللَّهِ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ [3].

3. ومن قبل الرازي فسر الزمخشري الغلو بأنه هو مجاوزة الحد في التعظيم أو في الغض والتنقيص من أمر ما [4].

وهذا الذي ذكره الزمخشري في تفسير الغلو يخصص المعنى الظاهري للغلو الذي يدل على مجاوزة الأمر ارتفاعًا وفعلاً، فالغلو -بحسب مادته لغة- يدل على المبالغة في التمسكو الالتزام، وأما الغلو الذي يقرره الزمخشري هنا فهو المبالغة في الشيء إفراطًا أو تفريطًا، فعلاً أو تركًا، فكلاهما يسمى غلوًا، والمنهج الوسط هو سلوك مابين الأمرين.

نماذج من التطرف والانحراف في تفسير القرآن الكريم

1- قال صاحب تفسير الروح والريحان: أنه تعالى قال لآدم: ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدّا، فأهبط وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث، فحرث وسقى وحصد، ودرس وذرى وعجن وخبز.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني. قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها قال: فرنت -

---

([1]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ط/ دار المعرفة - بيروت، 13،1379/278.

([2]) انظر: الالتزام الديني منهج وسط، عبد الرحمن حسن حبنكة ط/ رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

([3]) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 411/12.

([4]) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، ط3 / دار الكتاب العربي – بيروت - 1407 هـ، 364/3.

صاحت – حواء عند ذلك رنة – صيحة – فقيل لها: الرنة عليك وعلى بناتك، وقال محمد بن قيس: ناداه ربه: يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء، فقال: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، فقال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله تعالى: أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك، فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون مطرود مدحور عن الرحمة. وقيل: ناداه ربه يا آدم أما خلقتك بيدي، أما نفخت فيك من روحي، أما أسجدت لك ملائكتي، أما أسكنتك جنتي في جواري [1].

قال صاحب التفسير: قال ابن إسحاق: صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه، وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال – قد ملأت الوادي – يركب بعضها بعضا، وكانت سعة الأرض ميلا في ميل، فصارت كلها حيات، قيل إنّهم أتوا بالحبال والعصي ولطخوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا الزئبق في دواخل تلك العصي، فلما أثّر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض، وكانت كثيرة جدا، فالناس تخيلوا أنها تتحرك وتلتوي باختيارها وقدرتها {اسْتَرْهَبُوهُمْ}؛ أي: بالغوا في تخويف عظيم للعوام من حركات تلك الحيات والعصي، وخاف موسى أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته، فكان خوفه لأجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوه من أمر تلك الحيات، وليس خوفه لأجل سحرهم؛ لأنه كان على ثقة من الله تعالى أنّهم لن يغلبوه وهو غالبهم.

فعلى هذا: يكون سحرهم لأعين الناس عبارة عن هذه الحيلة الصناعية إذا صح خبرها، ويمكن أن تكون هناك حيلة أخرى، كإطلاق أبخرة أثرت في الأعين، فجعلتها تبصر ذلك، أو أنّ الحبال والعصي جعلت على صور الحيات، وحركت بمحركات خفية سريعة، لا تدركها أبصار الناظرين [2].

ومن الآراء الشاذة في التفسير ما ورد في قول الله – تعالى – {وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [3] شجرة العلم، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم، ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم، منها)

([1]) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ط1/ دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، 1421 هـ - 2001 م، 257/9.

([2]) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، 58/10.

(3) (سورة البقرة:35).

ما كان) يتناوله النبي (ﷺ) و علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) بعد إطعامهم إلتيم والمسكين والأسير، حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب.

وهي شجرة تميزت بين أشجار الجنة إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون لذكر الشجرة، فقال بعضهم: هي برة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي تينة، وقال آخرون: هي عنابة.

قال الله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ} تلتمسان بذلك درجة محمد وآل محمد وفضلهم، فإن الله تعالى خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم، وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله ألهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم، ومن تناول منها بغير إذن خاب من مراده وعصى ربه. فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غيركما- كما أردتما- بغير حكم الله تعالى.

قال الله تعالى: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها عن الجنة، بوسوسته وخديعته وإيهامه وغروره، بأن بدأ بآدم (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) [1]

إن تناولتما منها تعلمان الغيب، وتقدران على ما يقدر عليه من خصه الله تعالى بالقدرةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ لا تموتان أبدا وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ حلف لهما، كان إبليس بين لحيي الحية أدخلته الجنة، وكان آدم يظن أن الحية هي التي تخاطبه، ولم يعلم أن إبليس قد اختفي بين لحييها.

فرد آدم على الحية: أيتها الحية، هذا من غرور إبليس لعنه الله، كيف يخوننا ربنا؟ أم كيف تعظمين الله بالقسم به وأنت تنسبينه إلى الخيانة وسوء النظر وهو أكرم الأكرمين، أم كيف أروم التوصل إلى ما منعني منه ربي عز وجل، وأتعاطاه بغير حكمه؟! فلما يئس إبليس من قبول أمره منه، عاد ثانية بين لحيي الحية فخاطب حواء من حيث يوهمها أن الحية هي التي تخاطبها، وقال: يا حواء، أ رأيت هذه الشجرة التي كان الله عز وجل حرمها عليكما، قد أحلها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما، وتوقير كما إياه؟ وذلك أن الملائكة الموكلين بالشجرة- التي معها الحراب، يدفعون عنها سائر حيوان الجنة- لا تدفعك عنها، إن رمتها، فاعلمي بذلك أنه قد أحل لك، وأبشري بأنك إن تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلطة عليه، الآمرة الناهية فوقه [2].

---

(1)[سورة الاعراف:20]

([2])انظر:البرهان في تفسيرالقرآن/ هاشم الحسيني البحراني (ت 1107هـ)، ط2/ بيروت1427هـ 2006م.

وكذلك من النماذج المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ما ورد في قوله – تعإلى – {ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ} [1] قال: " الطريق، ومعرفة الإمام ".

قال: وحدثني أبي، عن حماد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله: الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ.

قال: " هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين {وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [2]

وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) في أم الكتاب [3].

2- ومن الآراء الشاذة في التفسير والتي لم ترد في مناهج منحرفة إلا أن الناظر إلىها يري أنها طالتها يد التحريف الغلو والتطرف ما ورد بشأن المرأة في كثير من الآيات التي ورد بشأنها ذكر للمراة.

مثال ما ورد في تفسير قول الله – تعإلى – {وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰما وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلا مَّعۡرُوفا} [4]

والسفيه: الجاهل، الضعيفُ الرأي، القليلُ المعرفة بمواضع المنافع والمضارّ؛ ولذلك سمى الله – ﷻ– النِّساء والصبيانَ سفهاء، فقال عامة أهل التأويل: هم النساء والصبيان، لضعف آرائهم، وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضارِّ التي تصرف إلىها الأموال [5].

ولكن عاد الشيخ الطبري في موضع آخر وصحح الكلام الذي أضر بمصلحة التفسير أولاً فقال: "والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه عم بقوله:"ولا تؤتوا السفهاء أموالكم"، فلم يخصص سفيهًا دون سفيه. فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهًا ماله، صبيًا صغيرًا كان أو رجلا كبيرًا، ذكرًا كان أو أنثى" [6].

وكذلك كرر غير واحد من المفسرين نفس هذه الأقوال والعجب العجاب أن هذه التفاسير غير منحرفة في جملتها بل هي من المصادر المعتمدة عند أهل السنة والجماعة إلا انها ذكرت مثل هذه الأقوال الضعيفة من باب الحكاية أو الخطأ غير المتعمد في التفسير.

---

(1) [سورة الفاتحة:6]

(2) [سورة الزخرف:4]

(3) انظر: البرهان في تفسير القرآن/ هاشم الحسيني البحراني ،111/1.

(4) [سورة النساء:5]

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، 293/1.

(6) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، 565/7.

قال ابن كثير: {وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰما وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلا مَّعْرُوفا} [1]

قَالَ عَامَّةُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ: هُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ [2].

إن خللاً كبيراً سيلحق الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم إن لم نبين هذا الغلو في تفسير آيات الله ﷻ ويظهر من ذلك التفسير الغلو الواضح في وصف النساء بالسفهاء مما يثير غضب النساء من تفسير القرآن الكريم ويجعل الكثيرات منهن يتجهن إلى الإلحاد.

3- ومن النماذج المعاصرة التي تمثل انحراف في التفسير ما جاء في الحكم علي المجتمعات المسلمة الموحدة بالله ﷻ بالجاهلية ورميهم بالكفر واستحلال دماء الأبرياء منهم.

عندما تحدث الأستاذ سيد قطب في تفسيره المسمي بالظلال في قول الله ﷻ " ومن لم يحكم بما أنزل الله " قال: إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم الشامل لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة، والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه " [3].

وهذا يؤكد أن الانحراف الفكري ماهو إلا انسلاخ شريحة من المجتمع عن المجري الرئيس لحياة المجتمع [4]

ولم يسبق إلى ما سبق إليه سيد قطب في تكفير المجتمع من حوله إلا الخوارج كل فرقة يقرؤون آيَة من الْقُرْآن يَزْعمُونَ أَنَّهَا لَهُم فَمِنْهَا يتبع الحرورية من الْمُتَشَابه قَول الله {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [5] ثمَّ يقرؤون مَعهَا (وَالَّذين كفرُوا برَبهمْ يعدلُونَ).

وفي بيان الصنف الأول من الخوارج وانحراف منهجهم في التفسير والحديث يقول الأستاذ محمد أو زهو: كان جهلهم بالحديث وعدم تحملهم له عن غيرهم؛ لأنه متهم في نظرهم سببا في أن فقههم، جاء مخالفا لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء من النصوص القرآن الكريم. فمنهم من يرى أن التيمم جائز، ولو على رأس بئر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة، إنما هو ركعة واحدة بالغداة، وأخرى بالعشي، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة،

---

(1) [سورة النساء:5]

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، 182/1.

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 898/2 ط4 دار الشروق القاهرة 1443هـ - 2013م.

(4) انظر: مجلة الأزهر،1984، ص12

(5) (سورة المائدة:44.)

ومنهم من يبيح دم الأطفال، والنساء ممن لا ينتمي إلى عسكرهم. ومنهم من أباح نكاح بنات البنات وبنات البنين، مما يدل على جهل عميق، حتى بالقرآن الكريم، وأكثر ذلك أتاهم كما قلنا من أنهم لا يعتدون برواية جمهور المسلمين، وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار في نظرهم، وإنما يعتمدون ما رواه لهم أئمتهم، وهم كما قلنا خلو من العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل خلو من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح، ثم لا يغيب عن البال، أن هذا الحكم لا يسري على جميع أفراد الخوارج، بل قد وجد منهم فيما بعد أفراد، وأئمة تفقهوا في الدين ورووا الحديث، واعتمدهم كما قال ابن الصلاح في مقدمته: بعض أئمة الحديث كالبخاري، فقد احتج بعمران بن حطان، وهو من الخوارج لا سيما، إذا علمت أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب؛ لأن مرتكب الكبيرة كافر في ينظرهم والكذب من الكبائر[1]

فَإِذا رَأَوْا الامام يحكم بِغَيْر الْحق قَالُوا: قد كفر فَمن عدل بربه وَمن عدل بربه فقد أشرك بربه فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّة مشركون " [2]

يؤمن أصحاب الفكر المنحرف بامتلاكهم للحقيقة المطلقة ،وتعذرهم في التعايش مع الآخرين، وتضيق صدورهم بالرأي المخالف إلى الحد الذي قد يدعوهم إلى استبعاد صاحبه، وتصفيته؛وفي مواجهة ذلك يقف الفكر الديني المتسامح المتسم بالوسطية ، والذي لا يجد أصحابه تعارضا بين يقين ديني يؤمنون به أو يدعو إليه، وبين الآخرين في اعتناق ما يرونه من عقائد دينية يؤمنون بها ويدعون إليها فهم يمتثلون لقول الله تعالى(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[3]

من أخطر آثار الانحراف الفكري هو السقوط في هاوية تكفير الآخرين واستباحة دمائهم وأموالهم، وهو ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام الذين كانوا أشد الناس تمسكا بالعبادة حيث وصفهم النبي ﷺبقوله: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم" [2]

ومن الآثار الخطيرة الأخرى للتكفير صرف اهتمام المسلمين عن أمور الحياة الهامة، واستنفار جهدهم في صراعات دينية وفكرية يزيد معها الأعداء ويقل معها الأخوة والأصدقاء، فتصبح المعركة بين

([1]) انظر: الحديث والمحدثون، ص86.

([2]) انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ط / دار الفكر – بيروت ج146/2.

([3]) سورة البقرة آية رقم 256.

المسلمين أنفسهم بطوائفهم وفئاتهم ومذاهبهم بدل من استنفار الجهود في العمل الصالح والنافع للدين وجمع شمل الأمة على منهج رباني واحد.

ومن جانب آخر، فقد يؤدي التكفير في ظل الانفعال الحاد والكراهية العميقة إلى سلوك العنف الذي يتمثل في العدوان الجسماني على أعضاء الجماعة موضوع الكراهية أو الإبادة (الإفناء) وهي المرحلة النهائية للانحراف الفكري المتطرف بين الجماعات وتشمل الإبادة الجماعية أو الإعدام دون محاكمة قانونية.

الدعوة إلى الوسطية

تمثل الوسطية في القضايا الإنسانية محورا هاما تدور حوله قضايا، ومسائل كثيرة، فقد جعل الله تعالى كثيراً من الأشياء، والطبائع والخصائص النفسية مملوكة بقانون الوسطية، فالشجاعة على سبيل المثال لها حدود، فإذا تجاوزتها صارت تهورا، والحذر له حدود فإذا تجاوزها أصبح جبنا وإحجاما.

جاءت لفظة (وسط) في اللغة لعدّة معانٍ، ولكن عند التأمّل في حقيقتها ومدلولها نجدها مُتقاربة في مآلها

قال ابن منظور في لسان العرب: وسط الشيء وأوسطه: أعدله، ورجل وسط ووسيط: حسن من ذلك. وصار الماء وسيطة إذا غلب الطين على الماء؛ حكاه اللحياني عن أبي طيبة. ويقال أيضا: شيء وسط أي بين الجيد والرديء [1].

وقال ابن فارس: (وسط): الواو والسّين والطّاء: بناء صحيح يدلّ على العدل والنّصف وأعدل الشيء: أوسطه، ووسطه، [2]. قال الله عز وجل: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّة وَسَطا} [3].

ويمكن إجمال المعاني التي جاءت تدلّ عليها هذه الكلمة فيما يلي

1- (وسْط) بسكون السّين تكون ظرفًا بمعنى (بين)، قال في لسان العرب: وأمَّا الوسْط بسكون السّين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزان نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول: جلست وسْط القوم، أي: بينهم، ومنه قول سوار بن المضرب: إنيّ كأنِّي أرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسْط النَّاس عُريانًا) قال د. زيد الزيد: وقد أشارت بعض المعاجم اللغوية إلى التفريق بين كلمة وسَط - بالتحريك - ووسْط بالسكون، فقالوا: إن كل موضع يصلح فيه (بين) فهو بالسّكون، وما لا يصلح فيه (بين) فهو بالفتح.

([1]) انظر: لسان العرب، مادة (وسط) 430/7.

([2]) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة: (وسط) 6 / 108.

(3) [سورة البقرة:143].

وقيل: كل منهما يقع موضع الآخر، قال ابن الأثير في غريب الحديث: وهو الأشبه [1].

وقال الزبيدي: وقديمًا كنت أسمع شيوخنا يقولون في الفرق بينهما كلامًا شاملا لما ذكر، وهو السّاكن متحرّك، والمتحرّك ساكن [2].

2- وتأتي – وسَط بالفتح – اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو منه، ومن ذلك: قبضْت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدّار، وهذه حقيقة معناها كما ذكر ابن برّي [3].

3- وتأتي – بالفتح أيضًا – صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره: كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار، وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها، ورجل وسط ووسيط: حسن [4].

4- وتأتي وسط – بالفتح – بمعني عدل، قال ابن فارس: وسط: بناء صحيح يدلّ على العدل، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه. وقال الفيروزآبادي: الوسط – محركة – من كل شيء: أعدله [5].

5-وتأتي (وسط) بالفتح – أيضًا – للشيء بين الجيد والرديء. قال الجوهري: ويقال: شيء وسط: أي بين الجيد والرديءوقال صاحب المصباح المنير: يُقال شيء وسط، أي بين الجيد والرديء [6]، ومنه ما ورد في الحديث: «ولكن من وسط أموالكم فإنّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه» [7].

6-ويقال (وسط) لما له طرفان مذمومان، يراد به ما كان بينهما سالمًا من الذّمّ، وهو الغالب.

7-قال الراغب: وتارة يُقال لما له طرفان مذمومان [8].

([1]) انظر: الوسطيَّة في الإسلام (17) ومختار الصحاح مادة (وسط) (720)، وغريب الحديث لابن الأثير (5 / 183).

([2]) انظر: تاج العروس مادة (وسط) (5 / 340).

([3]) انظر: لسان العرب مادة (وسط) (7 / 427).

([4]) انظر: لسان العرب مادة (وسط) (7 / 427، 430)، والصحاح مادة (وسط) (3 / 1167)، ووسطيَّة أهل السنة ص2.

([5]) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (وسط) ولسان العرب مادة (وسط) والقاموس المحيط مادة (وسط) وسطيَّة أهل السُنَّة بين الفرق ص (2).

([6]) انظر: مادة (وسط) في الصحاح، والمصباح المنير ص (252)، ووسطيَّة أهل السُنَّة ص (2 / 3).

([7]) أخرجه أبو داود (2 / 103، 104) رقم (1582)، والطبراني في الصغير ص (115). والبيهقي في السنن (4 / 95)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (3041).

([8]) انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة: وسط ص (522).

و (وسيطًا) أي: حسيبًا شريفًا، قال الجوهري: وفلان وسيط في قومه، إذا كان أوسطهم نسبًا، وأرفعهم محلا [1] و (الوسيط): المتوسّط بين المتخاصمين [2]، و(التوسط): بين الناس من الوساطة وهي الشفاعة [3].

تحرير معنى الوسطيَّة

من خلال ما سبق اتَّضح لنا أن كلمة (وسط)، تستعمل في معانٍ عدَّة أهمّها

1- بمعنى الخيار، والأفضل والعدل.

2- قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

3- وتستعمل لما كان بين شرّين وهو خير.

4- وتستعمل لما كان بين الجيّد والرديء، والخير والشَّرّ.

5- وقد تُطلق على ما كان بين شيئين حسًّا، كوسط الطّريق، ووسط العصا.

وقد تأتي لمعانٍ أخرى قريبة من هذه المعاني سبق ذكرها، ولا أجد حاجة لإعادتها.

والمهمّ – هنا – متى يُطلق لفظ (الوسطيَّة)؟ بل على ماذا يُطلق هذا المصطلح؟

فهناك من جعل مصطلح الوسطيَّة مُرادفًا للفظ الخيريَّة، ولو لم يكن بين شيئين – حسًّا أو معنى – قال فريد عبد القادر: ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفًا خاصًّا محدّدًا للوسطيَّة، فنقول: بأن الوسطيَّة هي: مؤهل الأمة الإسلامية من: العدالة، والخيريّة للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجَّة عليهم. ثم قال:

قال الله – تعالى – {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرا كَبِيرا} [4]

قال ابن كثير: يمدح الله – تعالى – كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد، ﷺوهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل [5].

([1]) انظر: مختار الصحاح مادة (وسط) (3 / 1167).

([2]) انظر: القاموس المحيط مادة (وسط) (2 / 406).

([3]) انظر: مختار الصحاح مادة (وسط) (3 / 1167).

(4) [سورة الإسراء:9].

([5]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ت/سامي بن محمد سلامة ط2/دار طيبة للنشر والتوزيع1420هـ - 1999 م،48/5

وقال القرطبي ومعنى قوله تعإلى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [1] أي الطريقة التي هي أسدّ وأعدل وأصوب [2].

وبهذا التفسير فإن الوسطيَّة داخلة في هذه الهداية من باب أولى، لأنها متضمنّة للعدل والاستقامة.

والوسطية تعني: الاستقامة على المنهج، والبعد عن الميل والانحراف، فالمنهج المستقيم، وبتعبير القرآن: ''الصراط المستقيم'' هو كما عبر أحد المفسرين الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب. فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة.

إن الانحراف الفكري ما هو إلا انحراف عن الوسطية والتوازن نحو الإفراط والتفريط، أو الغلو والتقصير. ولتعديل هذا الانحراف الفكري يجب العودة به وبمن يحمله إلى جادة الوسطية؛ فالوسطية في الإسلام هي العدل بين الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى أحدهما، أي الموازنة بين هذه الأطراف بحيث يعطى كلاً منها حقه دون بخس ولا جور عليه.

فالفكرة الوسطية يمكن أن تلتقي بها الأفكار المتطرفة في نقطة ما، هي نقطة التوازن والاعتدال، كما أن التعدد، والاختلاف الفكري يكون حتما كلما وجد التطرف، وتكون حدته وشدته بقدر حدة هذا التطرف. أما الوسط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها. ولهذا تثير المذاهب والأفكار المتطرفة من الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ما لا تثيره المذاهب المعتدلة في العادة.

وبعد فإن الغلو في تفسير القرآن الكريم هو مجاوزة الحد، وهو مذموم في الشريعة، والتطرف معنى عام، والغلو أخص منه.

والإرهاب هو تخويف الآمنين من المسلمين وغيرهم، وسبق الشريعة بتحديد معناه من خلال معاني الحرابة والسعي في الأرض فسادا، وتحريم الظلم.

---

(1) [سورة الاسراء:9]

(2) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ط2/دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964م، 225/10.

استخدامت مصطلحات الغلو والتطرف والإرهاب في غير مواضعها في تفسير القرآن الكريم مما يمثل انحرافاً خطيراً، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى الإلحاد. وهذا من التشويه وتغيير الحقائق، والغلو والتطرف الديني قديم في البشرية منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، والله أعلم.

المصادر والمراجع

أَوَّلاً/ القرآن الكريم

الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، أ.د/عادل بن علي الشدي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الملك سعود، ط1/ مدار الوطن2010/1431.

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974 م.

الإنحراف الفكري ومسئولية المجتمع، ط/ حولية كلية المعلمين فى أبها –السعودية، أ.د/ الجحني، علي بن فايز، ع 21 2008.

الالتزام الديني منهج وسط، عبد الرحمن حسن حبنكة ط/ رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

الانحراف الفكري في التفسير المعاصر، دوافعه ومجالاته وآثاره، ليحي ضاحي شطناوي.

البحث العلمي: صياغة جديدة، ط/ دار النهضةالعربيه القاهرة1968.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت 1420 هـ

البرهان في تفسير القرآن/ هاشم الحسيني البحراني

البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي – المحقق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1/ 1376 هـ - 1957 م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى =الحلبي وشركائه

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) مجموعة من المحققين ط/ دار الهداية.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، ط/ الدار التونسية للنشر – تونس 1984 هـ

تفسير السلمي، محمد بن الحسين السلمي النيسابوري، ت/ 412 ط/ نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة ،1417هـ.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، ت/ سامي بن محمد سلامة ط2/ دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م.

تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان

التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، ط/ مكتبة وهبة، القاهرة.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، ت/ أحمد محمد شاكر ط1/ مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.

جمهرة اللغة – أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) – المحقق: رمزي منير بعلبكي– الطبعة: الأولى، 1987م – دار العلم للملايين – بيروت.

دائرة معرف القرن العشرين، تحت كلمة اسرائيل، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ) ط4/مكتبة السنة.

الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ط / دار الفكر – بيروت.

دراسات في مناهج المفسرين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: 2002/10/01.

سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 27 هـ) ت/محمد فؤاد عبد الباقي ط/دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط/المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ت/بشار عواد معروف ط/دار الغرب الإسلامي - بيروت1998 م.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم- نشوان بن سعيد الحميرى إلىمني (المتوفى: 573هـ) -ت/د حسين بن عبد الله العمري، وزملاؤه- ط/ الأولى، 1420 هـ - 1999 م دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية).

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ط/ دار المعرفة - بيروت.

في ظلال القرآن، سيد قطب، 898/2 ط4 دار الشروق القاهرة 1443هـ - 2013م.

القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان- الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط1/ دار الكتب العلمية بيروت —لبنان 1403هـ -1983م، ص63.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط/ دار ومكتبة الهلال.

كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ط1/ مكتبة لبنان ناشرون — بيروت - 1996م.ص 33.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، ط3 / دار الكتاب العربي — بيروت - 1407 هـ.

لسان العرب - محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط3 /- دار صادر- بيروت- 1414 هـ.

مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 66هـ) - المحقق: يوسف الشيخ محمد- ط/ المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا- الخامسة، 1420هـ / 1999م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) ط/ المكتبة العلمية – بيروت، 452/2.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) ط/ المكتبة العلمية – بيروت.

المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة– ت/ (إبراهيم مصطفى وزملاؤه) – ط/ الناشر: دار الدعوة.

المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، ط/ موسسة الرسالة – بيروت، 1421 هـ - 2000 م، 217.

مناهج البحث العلمى– عبد الرحمن بدوي – ص3–5 ط/ دار النهضةالعربيه القاهرة1968.

مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: 1430هـ) ط/ دار الكتاب المصرى - القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، عام النشر: 1421 هـ - 2000 م، ص 8

مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: 1430هـ) ط/ دار الكتاب المصرى - القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، عام النشر: 1421 هـ - 2000م.

المناهج المنحرفة في تفسير القرآن الكريم على اختلاف عصورها وتباين مذاهبها واتجاهاتها، الزين عبد الله آدم، حمزة عمر يوسف (مشرف) رسالة دكتوراه جامعة أم درمان السودان، كلية أصول الدين 2013، انظر: د/ محمد حسين الذهبي، ط3/ مكتبة وهبة 1986م.

المناهج المنحرفة في تفسير القرآن الكريم على اختلاف عصورها وتباين مذاهبها واتجاهاتها، الزين عبد الله آدم، حمزة عمر يوسف (مشرف) رسالة دكتوراه جامعة أم درمان السودان، كلية أصول الدين 2013.

مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، ط3/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (3/٢).

مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) ط3/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،3/2،

منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم د. عبد الوهاب فايد، الأساس الخامس، خطبة في الأخذ بالإسرائيليات.

نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن، د. السيد أحمد خليل، ط/ دار الكتاب المصرى – القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، عام النشر: 1421 هـ - 2000م.

هامش مفتاح العلوم للسكاكي، ص 21.

الوثيقة بين المنهج الفلسفي والمنهج التاريخي - مجلة الجمعية الفلسفية المصرية – مصر- د/ عبد الكريم بوصفصاف كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية - الجزائر.